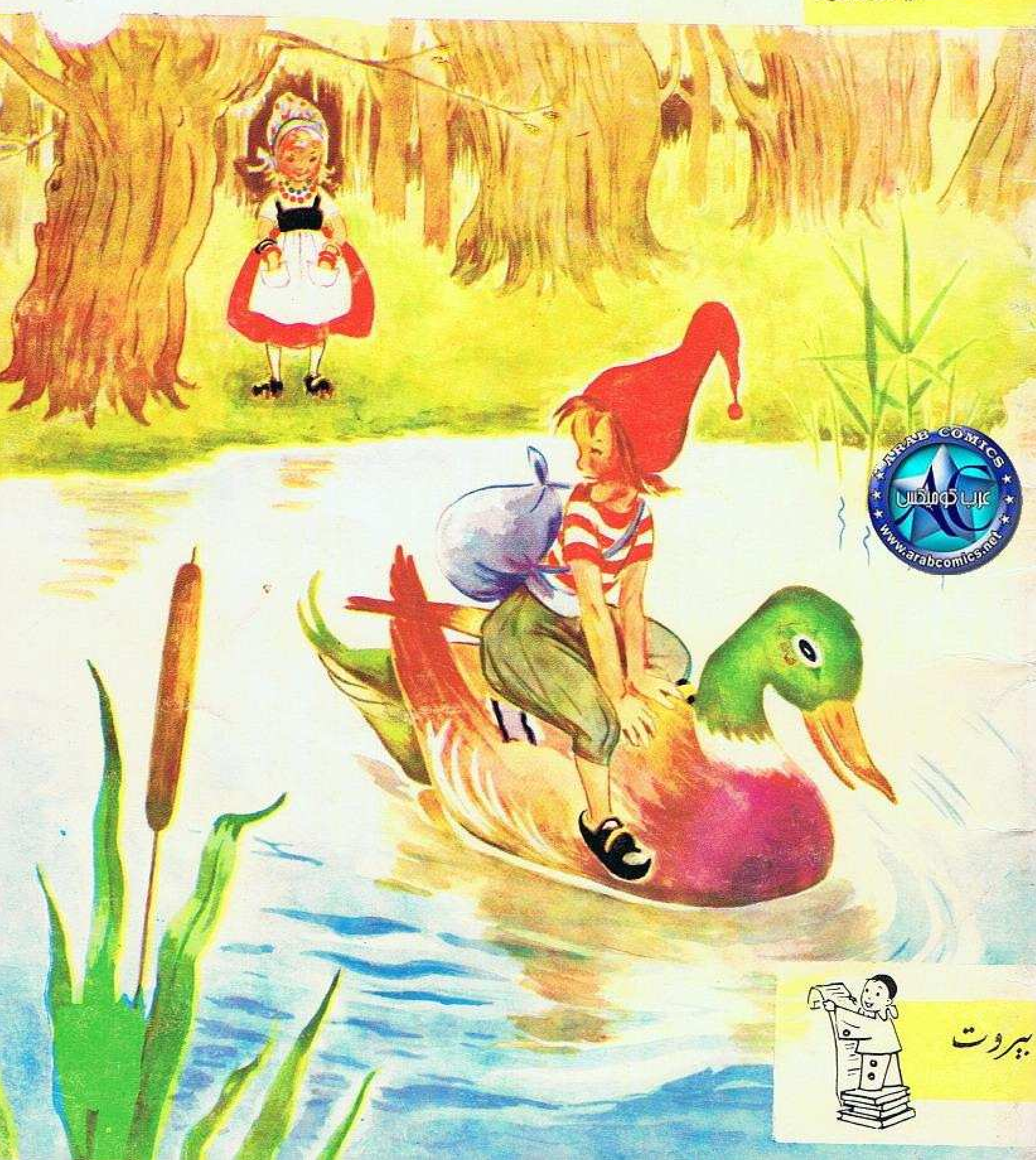
بيت السّاحِرة

دار شهرزاد



حكايات جدتي

بيت الساحرة



دار شهرزاد

كانَ في قَديمِ الزَّمانِ حَطّـــابٌ يَعيشُ مَعَ وَلَدَيْهِ زاهي وَزاهِيَةَ في وَسَطِ غابَةٍ موحِشَةٍ ، كَثيفَةِ الأَشْجار .

وَكانَ هٰذا الحَطّابُ يُحِبُّ وَلَدَيْهِ وَيَحْنو عَلَيْهِما ، وَلٰكِنَّهُ كانَ يَغْضَبُ كُلَّما رَآهُما يَلْعَبانِ بَعيداً عَنِ الْمَنْزِل .

لَمْ يَكُنْ زاهي يُبالي بِغَضَبِ والِدِهِ بَلْ كَثيراً ما كانَ يَتَوَغَّلُ في الْغابَةِ ثُمَّ يَعودُ آمِناً .

كَيْفَ كانَ يَهْتَدي إِلى طَريقِ الْعَوْدَة ؟

كانَ يَمْلأُ جُيوبَهُ حَصىً صَغيراً ، وَكُلَّما سارَ خُطْوَةً رَمى



حصاةً . وَفي الْمَســاءِ كانَ يَتَتَبَّعُ هَذِهِ الْحَصَواتِ فَتوصِلُهُ إلى الْبَيْتِ سالماً .

وفي ذاتِ يَوْمٍ خَرَجَ زاهي وَأُخْتُهُ زاهِيَةُ مِنَ الْبَيْت . لَمْ يَجِدْ زاهي في ذَلِكَ الْيَوْمِ حصىً صَغيراً ، فَأَخذَ قِطْعَةً مِنَ الْخُبْزِ وَراحَ يُلْقِي بِفُتَاتٍ صَغيرٍ مِنْها عِنْدَ خُطُواتِهِ حَتّى ابْتَعَدا كَثيراً.

فَجْأَةً لاحَ لَهُما عُصفُورٌ جَميلُ الْمَنْظَرِ قَدْ غُزِلَ ريشُهُ بِأَبْدَعِ الأَلْوانِ وَأَحْلاها . فَحاوَلا الْتِقاطَهُ ، وَلَكِنَّهُ طارَ وَحطَّ على غُصْنٍ قَريبٍ،فَتَبِعاهُ ، فَفَرَّ مِنْهُما ثانِيَةً . . . وَهَكَذا ما زالا يَتْبَعانِهِ وَهُوَ يَطيرُ مِنْهُما حَتّى تَوَغّلا مَسافَةً بَعيدَةً في الْغابَةِ .

فَزِعَتْ زاهِيَةُ وَقالَتْ لِأَخيها :

ــ لَقَدِ ابْتَعَدْنا كَثيراً ، وَتَأَخَّرْنا في الْعَوْدَةِ .

وَلَكِنَّ زاهي لَمْ يُبالِ بِكلامِها وَظَلَّ يَتْبَعُ الْعُصْفورَ حَتّى غابَ عَنْ أَنْظارِهِ .

حاوَلَ الشَّقيقانِ الْعَوْدَةَ إلى الْبَيْتِ وَلَكِنَّهُما لَمْ يَهْتَديا إلى الطَّريقِ لِأَنَّ الطُّيورَ اَلْتَقَطَتْ فُتاتَ الْخُبْزِ بِمَناقيرِها وَأَكَلَتْها .

حَزِنَتْ زاهِيَةُ كَثيراً وَقالَتْ لِأَخيها :

ــ لَقَدْ فَقَدْنا الطَّريقَ ، وَعَبَثاً نُحاوِلُ الْعَوْدَةَ إلى الْبَيْتِ ، أَلَمْ يُحَذِّرْنا وَالِدُنا مِنَ الْاَبْتِعادِ كَثيراً في الْغابَةِ ؟

فَأَجابَ زاهي

ــ لا تَخافي يا زاهِيَةُ . . . إنَّنا تَعِبانِ الْآنَ فَتَعالَيْ نَنامُ هُنا ، وَفي الصَّباحِ ، نَسْتَطيعُ الْاَهْتِداءَ إلى طَريقِ الْبَيتِ سَريعاً .

إسْتَلْقى الشَّقيقانِ أَحدُهُما قُرْبَ الآخَرِ تَحْتَ شَجَرَةٍ مُلْتَفَّةِ الْأَغْصانِ وَراحا في نَوْمٍ عَميق .

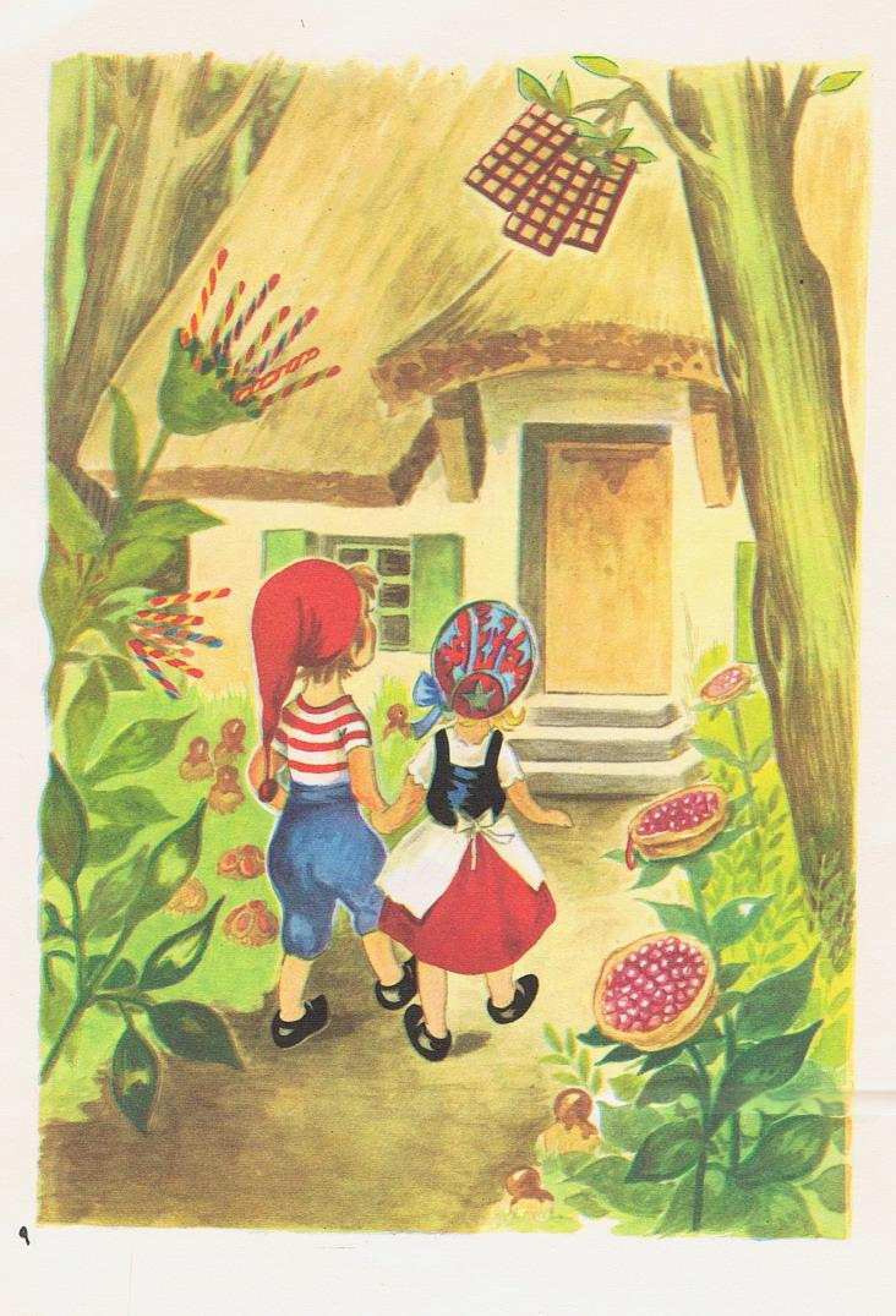


فِي الصَّباحِ اسْتَيْقَظا مَدهوشَيْنِ ، فَفَرَكا عيونَهُما وَنَظَرا حَوْلَهُما فَإِذا بِهِما يَتَذَكَّرانِ أَنَّهُما ضَلّا طَريقَهُما أَمسِ في الْغابَة .

أَحَسّا بِالْجوعِ فَقاما يَبْحَثانِ عَنْ بَعْضِ الْفَواكِهِ الْبَرِّيَّةِ ، أَوِ الْخُضارِ الطَّيِّبَةِ ، فَلَمْ يَعْثُرا لَها عَلى أَثَر ، وَفَجْأَةً صَرَخَ زاهي فَرِحاً :

– إِنّي أَرى بَيْتاً يَلوحُ مِنْ بَعيد . . أُنْظُري يا زاهِيَةُ إِنَّهُ بَيْتٌ صَغيرٌ وَجَميلٌ ، فَهَيّا بِنا نَطْرُقُ بابَهُ لَعَلَّ سُكّانَهُ يُقَدِّمونَ لَنا شَيْئاً نَأْكُلُه .

سارَ الشَّقيقانِ الصَّغيرانِ حَتّى وَصَلا إِلى الْبَيْتِ الصَّغير . . وَكَمْ كانَتْ دَهْشَتُهُما كَبيرَةً عِنْدَما وَجَداهُ بَيْتاً غَريبَ الشَّكْلِ : جُدْرانُهُ مِنَ الْكَعْكِ اللَّذيذِ وَالسُّكَّرِ الْمُذَوَّبِ ، وَحَديقَتُهُ مَلْأَى بِسَنابِلِ الْقَمْحِ السُّكَّرِيَّةِ وَقَدْ نَبَتَتْ فَوْقَها جَميعُ أَنْواعِ الْحَلْوى وَالْفَطائِر .



أثارَ هذا المَنْظرُ شهيَّتهما للأكْلِ ، فأخذا يقطفانِ مِنْ أزْهارِ الحلْوى ويأكُلان .

وبيْنما هُما مُستغرقانِ في الأكْلِ سمِعا صوْتاً غريباً يهتِفُ :

أُريدُ أنْ أسْمعَ الحقيقهْ
منْ يأكُلُ أزْهارَ الحديقهْ

فأجابتْ زاهِيةُ على الفوْرِ :

هذا خطأٌ بلا مِراءْ
إنّهُ صوْتُ الهــواءْ

ولِلْحالِ انْفتحَ البابُ وخرجتْ مِنْهُ ساحِرةٌ عجوزٌ غريبةُ المَنْظرِ ، فابْتسمتْ للطِّفْلـيْنِ ودعتْهُما لِدُخولِ بيْتِها وقدّمتْ لهما شطائِرَ الحلْوى المحْشوَّةِ بأطيبِ أنواعِ الفاكِهةِ ، ثُمَّ قادتْهُما إلى سريرَيْنِ صغيرَيْنِ لِيناما بعْدَ أنْ أنْهكهُما التّعب .

بَيْنَما كانَ الصَّغيرانِ مُسْتَغرِقَيْنِ في النَّوْمِ ، كانَتِ السَّاحِرَةُ تَتَفَحَّصُهُما بِدِقَّةٍ . . . لَقَدْ حدَّثَتْها نَفْسُها الْخَبيثَةُ بِأَنْ تأْكُلَهُما .

وَلَمَّا اسْتَيْقَظا أَخذَتِ السَّاحِرَةُ زاهي مِنْ يَدِهِ وَحَبَسَتْهُ في قَفَصٍ صَغيرٍ وَقالَتْ لَهُ :

ــ سآكُلُكَ أَنتَ أَوَّلاً .

ثُمَّ أَمَرَتْ أُخْتَهُ بِأَنْ تَهْتَمَّ بِطَعامِهِ جَيِّداً حَتَّى يُصْبِحَ سَميناً لَذيذَ الطَّعْمِ .

أَخَذَ زاهي يَتَناوَلُ أَطْيَبَ الأَطْعِمَةِ كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَما كانَتْ أُخْتُـــهُ تَتَغَذّى عَلى الْفُتاتِ ، تُرْهِقُ نَفْسَها في تَنْظيفِ الْبَيْتِ وَإِعْدادِ الطَّعامِ وَسَحْبِ الْماءِ مِنَ الْبِئْرِ .

وَفي الْمَساءِ كانَتْ زاهِيَةُ الشُّجاعَةُ تَجْلِسُ أَمامَ قَفَصِ أَخيها وَقَدْ أَنْهَكَها التَّعَبُ وَتَأْخُذُ بِتَسْلِيَتِهِ وَالتَّرْويحِ عَنْهُ قائِلَةً : إِنَّها لَنْ تَعْدَمَ وَسيلَةً لإِنْقاذِ نَفْسَيْهِما مِنْ كَيْدِ السَّاحِرَةِ الْخَبيثَةِ .



لَمْ تستَطِعِ السّاحِرَةُ الصَّبْرَ طَويلاً فقَدْ حدَّثَتها نفسُها الشِّرِّيرَةُ بِأَنْ تأْكُلَ زاهي وَقالَتْ : لا بُدَّ أَنَّهُ قَدْ صارَ سَميناً لَذيذَ الطَّعْمِ .

وَبِما أَنَّ السّاحِرَةَ كانَتْ ضَعيفَةَ النَّظَرِ ، لا تَستَطيعُ أَنْ تَتَبَيَّنَ ما وَصَلَتْ إِلَيْهِ صِحَّةُ زاهي ، فَقَدْ أَخَذَتْ تَطْلُبُ مِنْهُ كُلَّ صَباحٍ أَنْ يَمُدَّ لَها إِصْبَعَهُ لِتَجُسَّها ، فَكانَ زاهي يَمُدُّ لَها بَدَلاً مِنْ إِصْبَعِهِ عَظْمَةَ دَجاجَةٍ كانَ قَدِ احْتَفَظَ بِها لِهَذِهِ الغايَةِ ، فَتَجِدُهُ لا يَزالُ هَزيلاً ضَعيفاً .

وَجاءَ يَوْمٌ أَيْقَنَتِ السّاحِرَةُ فيهِ أَنَّ زاهي لَنْ يَسْمَنَ أَبَداً فَقَرَّرَتْ أَنْ تأْكُلَهُ في صَبيحَةِ الغَدِ .

في الصَّباحِ الباكِرِ طَلَبَتِ السّاحِرَةُ مِنَ زاهِيَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلى الغابَةِ وَتَجْمَعَ لَها كَمِّيَّةً مِنَ الحَطَبِ .

خَرَجتْ زاهِيَةُ مِنَ البَيْتِ والدُّموعُ تَمْلأُ عَيْنَيْها وَتَسيلُ على خدَّيْها لِأَنَّها تَأَكَّدَتْ أَنَّ هذا الحَطَبَ الَّذي تَجْمَعُهُ سَتَكونُ مِنْهُ نارٌ عَظيمَةٌ يُشْوَى عَلَيْها جَسَدُ أَخيها زاهي ، فَدَبَّ الذُّعْرُ إلى قَلْبِها ، وَأَشْفَقَتْ عَلى مَصيرِ أخيها الَّذي سَيَكونُ مَصيرَها هِيَ بَعْدَ أَيَّام .

كانَتِ الْجِنِّيَّةُ تُخَبِّيءُ مِفْتاحَ الْقَفَصِ وَلا تَدَعُهُ يُغادِرُ جَيْبَها ، وَلكِنَّهُ في ذَلِكَ الْيَوْمِ سَقَطَ مِنْها لِانْهِماكِها في تَحْضيرِ الْفُرْنِ ، وَإِعْدادِ الْمائِدَةِ ، فَأَخَذَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ ، وَلكِنَّ زاهِيَةَ كانَتْ أَسْرَعَ مِنْها إِذْ رَأَتْهُ حِينَ سَقَطَ فَالْتَقَطَتْهُ وَخَبَّأَتْهُ في ثَوْبِها ، وَهِيَ تَرْجو قُرْبَ خَلاصِ أَخيها .

جَمَعَتِ الْجِنِّيَّةُ كُلَّ الْحَطَبِ وَوَضَعَتْهُ فِي الْفُرْنِ وَأَشْعَلَتْ فِيهِ النَّارَ ثُمَّ نادَتْ زاهِيَةَ وَطَلَبَتْ إِلَيْها أَنْ تُدْخِلَ رَأْسَها في الْفُرْنِ لِتَتَأَكَّدَ مِنْ شِدَّةِ حَرارَتِهِ .

تَرَدَّدَتْ زاهِيَةُ وَهِيَ تَتَكَلَّفُ الْغَباءَ وَقالَتْ :



ـ لا أعرفُ يا سَيِّدَتي كَيْفَ أُدْخِلُ رَأْسي فَصَرَخَتْ فيها ٱلسَّاحِرَةُ بَغَضَبٍ وقالَتْ :

ـ أَيَّتُها الْفَتاةُ الْحَمْقاءُ أَلاَ تَرَيْنَ أَنَّ بابَ الْفُرْنِ يَتَّسِعُ لِدُخولِ رَأْسِكِ ؟ . .

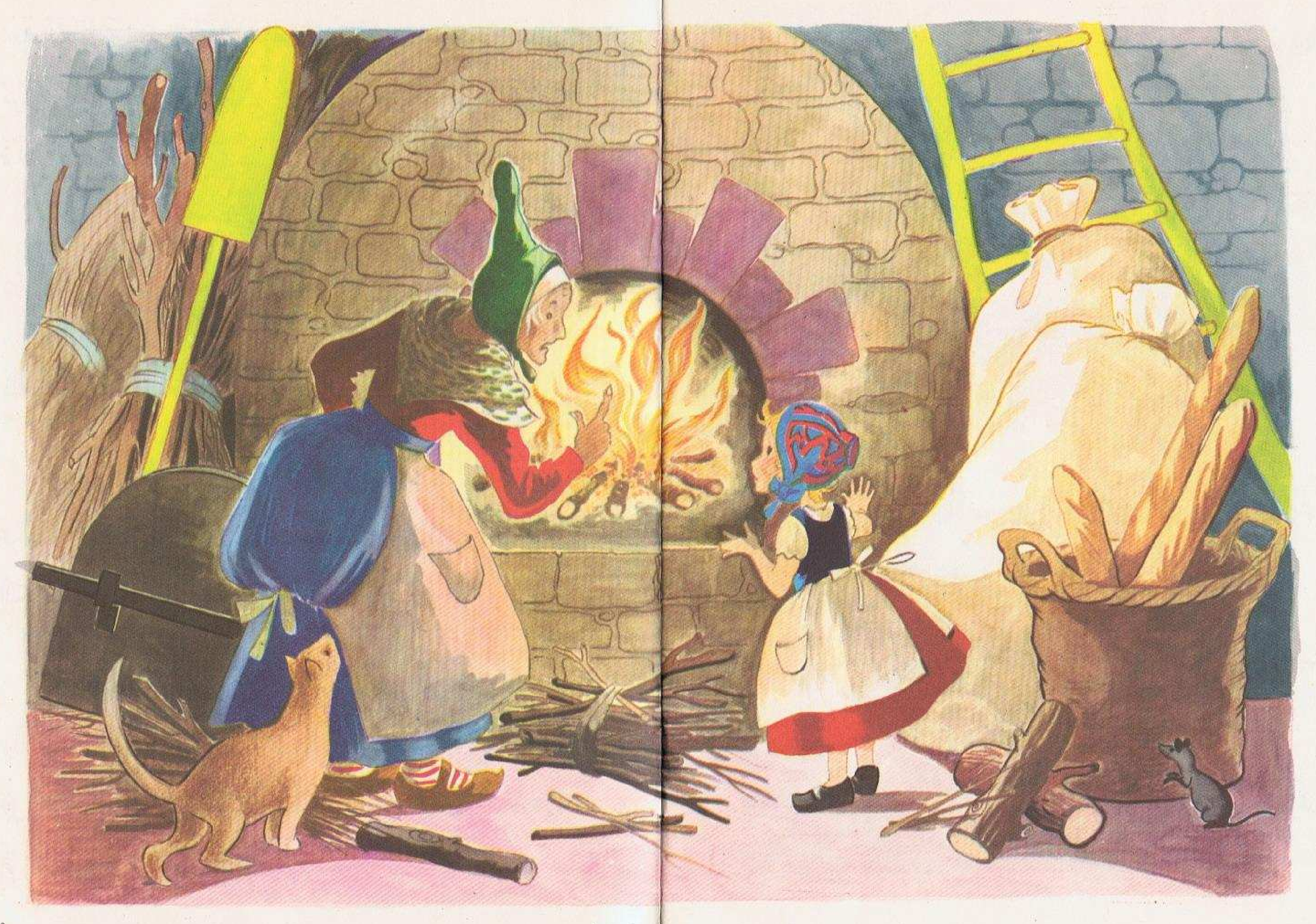
فَأَسْرَعَتْ زاهِيَةُ إِلَيْها وَقَبَّلَتْ يَدَها وَهِيَ تَقولُ بِلُطْفٍ :

ـ أَرْجوكِ يا سَيِّدَتي أَنْ تُعَلِّميني كَيْفَ أُدْخِلُ رَأْسي .

ما كادَتِ السَّاحِرَةُ تَهُمُّ بِإِدْخالِ رَأْسِها في الْفُرْنِ حَتَّى دَفَعَتْها زاهِيَةُ بِقُوَّةٍ فَسَقَطَتْ في وَسَطِ النِّيرانِ وَٱلْتَهَمَتْها في لَحَظاتٍ .

رَكَضَتْ زاهِيَةُ نَحْوَ قَفَصِ أَخيها وَالْفَرْحَةُ تَمْلأُ نَفْسَها وَتَقولُ :

ـ لَقَدِ ٱحْتَرَقَتِ السَّاحِرَةُ ، لَقَدْ ماتَتِ السَّاحِرَةُ ، وَقَدْ كُتِبَتْ لَنا النَّجاةُ .



ثُمَّ فَتحتْ بابَ الْقَفَصِ وَأَخرجتْ أَخاها وكانَ في حالَةٍ مُؤَثِّرَةٍ مِنَ الْفَزَعِ وَالْإِعْياءِ . ثُمَّ تَعانَقا طَوِيلاً وَدُموعُ الْفَرَحِ تَمْلَأُ أَعْيُنَهُما .

شَكَرَ زاهي لِأُخْتِهِ شَجاعَتَها وَذَكاءَها ثُمَّ قالَ لَها :

ـ وَالآنَ ، وَقَدْ ماتَتِ السَّاحِرَةُ ، وَلَمْ يَعُدْ لَنا ما نَخْشاهُ فَلْنُفَتِّشِ الْبَيْتَ بِدِقَّة .

وَضَعَتْ زاهِيَةُ يَدَها في يَدِ أَخيها وَراحا يَبْحَثانِ في الْغُرَفِ فَوَجَداها مَليئَةً بِالحُلى الذَّهَبِيَّةِ النَّادِرَةِ وَبِصَناديقِ الْأَحْجارِ الْكَريمَةِ الْمُرَصَّعَةِ بِشَتَّى الأَلْوان .

مَلأَ الشَّقيقانِ جُيُوبَهُما مِمّا اسْتَطاعا حَمْلَهُ مِنَ الْجَواهِرِ وَالْأَحْجارِ الْكَريمَةِ ، ثُمَّ رَبَطَ زاهي رُزْمَةً كَبيرَةً مِنْها حَمَلَها عَلى كَتِفِهِ بَيْنَما مَلَأَتْ زاهِيَةُ عُنُقَها بِالْعُقودِ الْمُرَصَّعَةِ النَّادِرَة ، ثُمَّ سارا في طَريقِ الْعَوْدَةِ إلى بَيْتِهِما .

ما كادا يَسيرانِ قليلاً حَتّى وَصَلا إلى نَهْرٍ صَغيرٍ لَمْ يَسْتَطيعا اَجتِيازَه .

إلتَفَتَ زاهي إلى أُخْتِهِ وَسَأَلَها :

ـ كَيْفَ نَجْتازُ هَذا النَّهْرَ وَلَيْسَ فَوْقَهُ جِسْرٌ يَصِلُ بَيْنَ ضِفَّتَيْه .

فَأَجابَتْهُ زاهِيَةُ :

ـ أُنظُرْ يا زاهي إلى هَذِهِ البَطَّةِ الَّتي تَقْتَرِبُ نَحْوَنا فَلْنَطْلُبْ إلَيْها أَنْ تُساعِدَنا على اَجتيازِ النَهْرِ ، ثُمَّ أَخَذا يُنْشِدان :

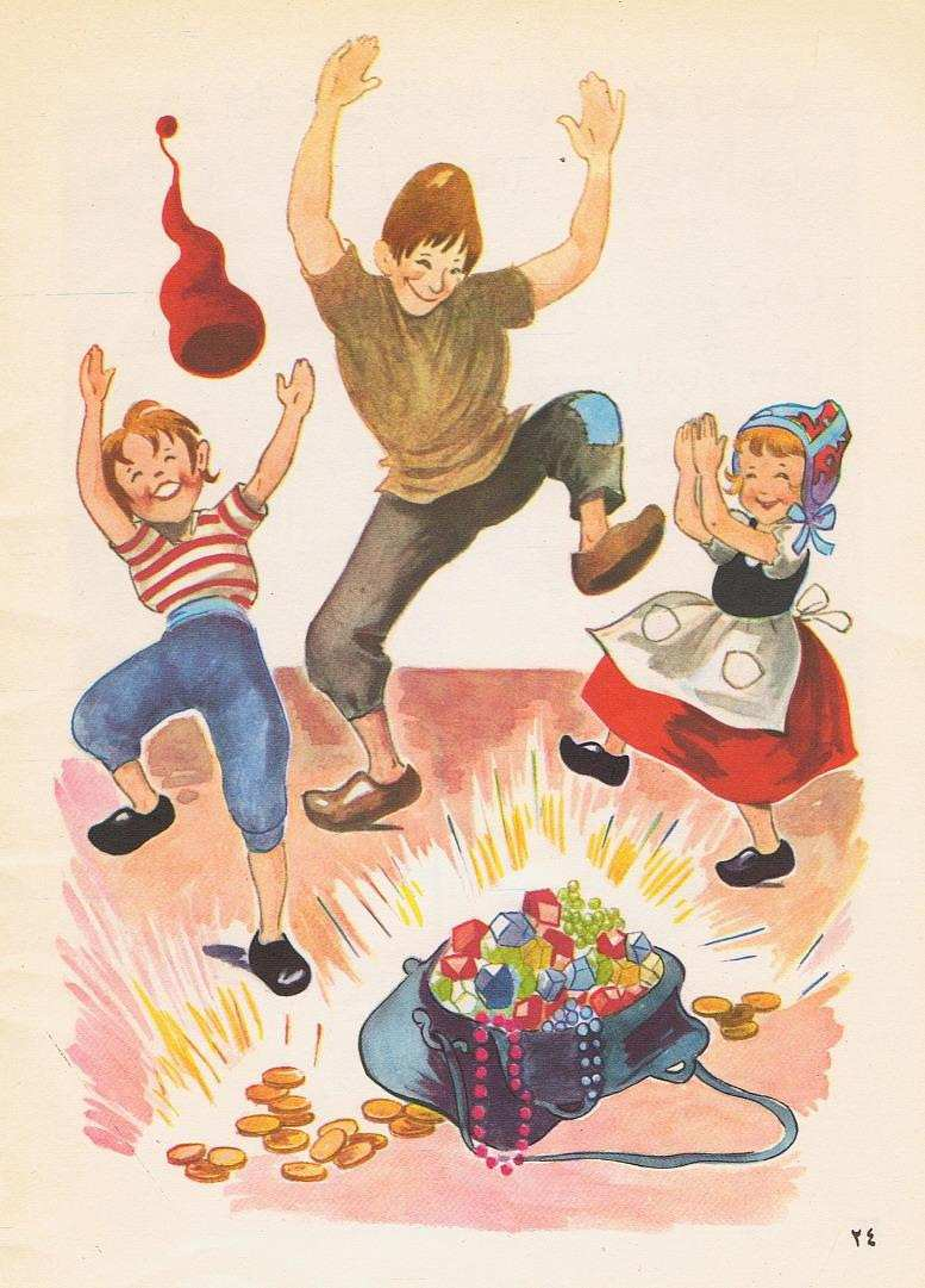
يا بَطَّتي اللَّطيفَةَ يا بَطَّـتي
لَقَدْ تَأَخَّرْتُ كَثيراً في عَوْدَتي
فَهَـلْ لَكِ أَنْ تَنْقُلينا
إلى الشَطِّ الآخَرِ آمِنينا ؟



سَمِعَتِ الْبَطَّةُ كَلامَهُما فَاقْتَرَبَتْ مِنْهُما وَساعَدَتْهُما في اجْتِيازِ النَّهْرِ الْواحِدَ بَعْدَ الآخَرِ ، ثُمَّ تابَعا الْمَسيرَ حَتّى وَصَلا إِلى بَيْتِهِما .

لَمْ يُصَدِّقِ الْحَطّابُ عَيْنَيْهِ عِنْدَما رَأى وَلَدَيْهِ زاهي وزاهية أَمامَهُ ، وَالذَّهَبُ وَالْأَحْجارُ الْكَرِيمَةُ تَلْمَعُ بَيْنَ أَيْديهِما ، فَعانَقَهُما طَويلاً وَدُموعُ الْفَرَحِ تَجُولُ في عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ عاشُوا عِيشَةً سَعيدَةً هَنيئَةً إِلى آخِرِ أَيّامِ حَياتِهِم .

انْتَهَتْ





تطلب من:
دار العلم للملايين
مؤسسة نوفل
حكايات جدتي